فى الأدب الشرقى

نظرات فى الأدب الفارسى

منذ نشأته إلى إغارة التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٣ -

وأما ألفاظ الشعر ففيها كثير من الالفاظ العربية وعليها طابع عربى فى تركيبها، ولكن أثر العربية فى الشعر أقل منه فى النثر.

واما قوافيه وأوزانه فلا يمكن تفصيلها فى هذا المقال، وحسبنا أن نقول إن الفرس يكثرون من الشعر المزدوج الذى يسمونه المتنوى وهو شعر القصص كلها، وأكثروا كذلك من الدوبيت أو الرباعى، وعندهم مايسمونه تركيب بند، أو ترجيع بند، وهو قريب من الموشحات العربية — وعندهم الشعر المردف وهو الذى تكرر فى آخره كلمة واحدة ويعتبر الروى والقافية ما قبل هذه الكلمة.

وجملة القول أنهم لم يسهلوا القوافى العربية وان اخترعوا ضروبا فيها.

وأما الوزن فجدير بالتدقيق جداً، فان الفرس حاكوا العرب فى أوزانهم أول الامر ولكنهم سرعان ما نبذوا أشهر الاوزان العربية. فالطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل، وهى بحور الدائرة الاولى، لم ينظم فيها الفرس الاجماعة من المتقدمين ارادوا اظهار براعتهم كما يقول شمسى قيس. ونظموا فى الرمل والرجز والخفيف والمضارع والمجتث والمتقارب (وهو وزن الشاهنامه) وأولعوا بالهزج ولعاً شديداً حتى جعلوه أصلا فرعوا منه اصناف الرباعى وخرجوا به عن أصله العربى

ويلاحظ أنهم لم يقفوا بالبحور عند المقادير العربية، فالرمل قد يأتى مثمناً والرجز كذلك وماجاءا قط كذلك فى شعر العرب، والهزج - مثلا - الذى هو سداسى الاصل عند العرب ومجزوء وجوباً ينظم منه الفرس مثمنا. ثم تصرف الفرس فى الزحاف والعلل تصرفاً كثيراً جدا، واشتقوا من الدوائر العربية بحوراً اخرى قريبة من البحور الأصلية مثل الغريب والمشاكل والقريب.

وقد اراد بعض المستشرقين أن يعلل الخلاف بين الاوزان العربية والفارسية الخ بما بين طبائع الامتين من اختلاف

ويقول شمسى قيس أن سبب نقل الطويل والمديد والبسيط أن أجزاءها غير متناسبة فى حركاتها وسكناتها ويطيل فى بيان ذلك.

ولا يمكن الفصل فى هذه المسألة الا بعد بحث مفصل فى أوزان الشعر العربى وعلاقتها بالكلمات العربية، وفى تطور الاوزان العربية فى الشعر الفارسى وتبيين ما بين هذا التطور ولغة الفرس من صلة، وبعد بحث طويل شاق لم تتهيأ وسائله.

وأما النثر الفارسى فأثر العربية عليه أبين: الالفاظ العربية فيه اكثر، والتركيب قريب من التركيب العربى، ولكن لابد من الفرق بين النثر الادبى - نثر الرسائل والمقامات ونثر الكتب، فأما الاولى فقريبة من الشعر، وأما الثانية فيفرق فيها بين كتب التاريخ

موطنى

لنزيل البرازيل: الياس فرحات

نازح أقعده وجد مقيم ... فى الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم ... عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر العهد القديم ... فينادى
أين جنات النعيم ... من بلادى

....

زانها المبدع بالفن الرفيع ... منصفا بين الروابى والبطاح
ملقيا من نسج ابكار الربيع ... فوق أكتاف الربى أبهى وشاح
حبذا راعى القطيع ... فى المراح
ينشد اللحن البديع ... للصباح

....

موطنى يمتد من بحر المياه ... ممعنا شرقا إلى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه ... بجمال فائق حد الجمال
ذكره يغرى فتاه ... بالمعالى
أنا لا أبغى سواه ... فهو مالى

التى هى قصص يستعمل فيها الكلام المعتاد غالبا وبين المؤلفات العلمية مثل كتب الفقه والتوحيد والبلاغة والطب وهلم جرا . فهذا الصنف الاخير يكاد يكتب بألفاظ عربية ، وتستعـــار فيه كل الاصطلاحات العربيـة ، فاصطلاحات البلاغة وضروب البديع واصطلاحات العروض أخذت برمتها ، وما زادوه فيها اشتقوه من العربية أيضا ، ثم المؤلفات كلها علميها وأدبيها يتخللها كثير من المقتبسات العربية ، ففى كتب الدين الآيات والاحاديث ، وفى كتب الادب والتاريخ كثير من الابيات والامثال والمأثورات ، وقد تجد من ذلك اسطرا كثيرة متوالية .

قد عرفنا حال اللغة الفارسية فى ايران اجمالا ، وكيف بدأت وكيف تطورت وكيف شاركت فى فنون كثيرة . وقد يتردد فى نفس القارىء هذا السؤال : ماذا أصاب اللغة العربية فى تلك البلاد بعد أن صار لها لغة أدبية خاصة ؟ هل استبدت اللغة الفارسية بالآداب ولم يبق للعربية فيها مجال ؟ والجواب كلا ! !

قد تقلبت الغير باللغتين ولكن يمكن إن يقال أن العربيـة احتفظت بالسيادة فى الاطوار كلها فيما عدا الشعر . فأما أدلة هذا وتفصيله ففى هذه الكلمة الموجزة .

لا ريب ان المؤلفات العربية التى الفت فى بلاد الفرس ما بين أول القرن الرابع وغارات التتار أكثر جداً من نظائرها الفارسية ، ولكن ينبغى أن نفرق بين الشعر وبين غيره أيضاً فان الامر فيهما لا يجرى على سنن واحد :

فاما العلماء المؤلفون فلا حرج على باحث أن يقول أنهم كلهم كانوا يعرفون اللغتين ، وقد الف بعضهم فيهما ولكن المؤلفين بالعربية أشهر ذكرا وأعظم اثرا . وحسبنا أن نذكر ابن مسكويه وابن سينا والبيرونى والعتبى والغزالى والرازى والزوزنى والتبريزى والنسفى والبيضاوى والطوسى

وأحسن مقياس فى هذا أن نعمد الى جماعة ممن الفوا باللسانين لنرى أمؤلفاتهم العربية أكثر وأعظم أم الفارسية . ولا أحسب الامر يحتاج الى عناء ، فيكفينا أن نذكر الغزالى فنحن نعرف مؤلفاته العربية وليس له فى الفارسية الا رسالتان : كيمياء السعادة ونصيحة الملوك ، وقد صرح فى الاولى انه الفها بالفارسية ليفهم العامة ـ وفخر الدين الرازى له زهاء ٣٣٠ مؤلفا يعرف منها فى الفارسية واحد فقط هو اختيارات علائى ، ونصير الدين الطوسى على تأخر زمانه له نحو ٥٠ مؤلفا قليـل منهـا الفارسى . والبيضاوى الف تفسيره بالعربية ولم يمنح الفارسية الا كتابا صغيرا سماه نظام التواريخ .

وأما الشعر وما يتصل به فلا ريب أن النبوغ كان لشعراء الفرس أو اشعراء الفارسية ، فليس فيمن شعروا بالعربية ببلاد الفرس أمثال الفردوسى أو الأنورى أو العنصرى ، ولكن أكثر العلماء الذين اتخذوا العربية لغة علم كانوا ينظمون شعرا عربيا . وكثير من شعراء الفرس نظموا شعرا عربيا كذلك . وحسبنا أن نعرف أن الثعالبى وهو من رجال القرن الرابع ذكر فى الجزء الثالث والجزء الرابع من اليتيمة واحدا وخمسين ومائة من معاصريه الذين نظموا الشعر العربى فى ارجاء بلاد الفرس وهم أكثر من كل شعراء الفرس الذين ذكرهم عوفى وهو فى القرن السابع .

ومن الشعراء الذين نظموا باللغتين بديع الزمان الهمذانى وأبو الفتح البستى وقد ضاع ديوانه الفارسى ، والبديع البلخى الذى مدح احد الأمراء بشعر ملمع . وعطاء بن يعقوب الكاتب وكان له ديوانان عربى وفارسى ، والباخرزى ، وابن سينا . والشيخ سعدى . ومن الكتاب رشيد الدين وطواط صاحب حديقة الشعر وله رسالة عربية منشورة فى رسائل البلغاء .

لم يكن حال اللغتين سواء فى العصور كلها فقد كانت الفارسية مندظهرت فى صعود بينما كانت العربية فى هبوط ـ وهذا الهبوط كان ابين فى الشعر منه فى العلم ، فالراوندى مؤلف راحة الصدور ينقل أبياتا عربية بليغة لأحد وزراء السلاجقة ثم يأسف على ذلك الزمن ويقول : ان وزراء زمنه لا يفهمون مثل هذا ـ وصاحب المعجم من رجال القرن السابع يقول ان شعراء زمانه يعرفون اللغتين ولكنه لما نظم كتابه فى العروض بالعربية نقم عليه أدباء فارس حتى قسم الكتاب قسمين المعجم والمعرب

ذعونى يقول : فان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل شاعر فارسى يعرف العربية ، على أن اللغة الفارسية نفسها لم تكن قد ضبطت قواعدها كقواعد العربية حتى نجد شمسى فيس فى القرن السابع يشكو من هذا ويشرح القواعد شرح المستنبط الذى لم يسبق أطوار الترجمة .

والخلاصة أن العربية فيما عدا الشعر حلت مكانة فوق الفارسية حتى غارات التتار التى عصفت بالحضارة الاسلامية واصابت العلوم والآداب بضربات لم تفق منها حتى اليوم

والكلام عن اللغتين بعد سقوط بغداد لا يجرى على هذا النمط ، وعسى أن تتاح فرصة للكلام فى ذلك

□□□□□□□□□□□□

حول الادب اليابانى

كتب الينا الاديب نادر الكزبرى من ندوة المأمون بدمشق يلاحظ على الاستاذ احمد الشنتناوى أنه لم يشر فى آخر مقاله (الادب اليابانى) الى انه منقول بالنص عن مقال فرنسى نشر فى عدد يناير سنة ١٩٣٣ من مجلة الشهر (Le mois) تحت عنوان (اقليم اليابان الادبى) ولعل ذلك سهو من الكاتب يتداركه إن شاء